

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى

١٤

سعيد

بن عامر

نايس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١٤

سعيد بن عامر

بقلم

نائيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

سعيد بن عامر (الصحابة)

٢ شايخ كامل صدق - الفجالة

ت: ٥٩٠٨٩٥٠

سعيد بن عامر

زِينَةُ وَفَرَحُ طِفْلَتَانِ طَيِّفَتَانِ تُحْبَانِ اللَّيْبَ ، كَمَا
تُحْبَانِ النَّظَافَةَ وَالنِّظَامَ ، فَهُمَا تَعْتَبَانِ بِمَلَابِسِهِمَا ، فَهِيَ
نَظِيفَةٌ دَائِمًا ، وَلَيْبُهُمَا مُنَظَّمٌ مُرْتَّبٌ . وَلِذَلِكَ كَانَ
وَالِدَاهُمَا سَعِيدَيْنِ بِسُلُوكِ الطِّفْلَتَيْنِ ، لَوْلَا صِفَةُ وَاحِدَةٍ
تُعْيِبُهُمَا ، هِيَ الْكِبَرُ وَالِاسْتِعْلَاءُ عَلَى النَّاسِ .

وَفِي أَحَدِ الْيَامِ ، نَزَلَتْ زِينَةُ وَفَرَحُ لَتَلْعَبَا فِي حَدِيقَةِ
الْمَنْزِلِ مَعَ صَدِيقَاتِهِمَا ، وَانْدَمَجْنَ جَمِيعًا فِي اللَّيْبِ
وَالْمَرَحِ ، وَفِيمَا هُنَّ يَلْعَبْنَ ، أَقْبَلَتْ سَيِّدَةُ ابْنَةِ النِّعَمِ أَحَدِ
الْبَوَابِ ، وَطَلَبَتْ أَنْ تَلْعَبَ مَعَهُنَّ . فَانْسَحَبَتِ الطِّفْلَتَانِ
زِينَةُ وَفَرَحُ فِي هُدُوءٍ ، وَصَعِدَتَا إِلَى شَقَّتَيْهِمَا . فَسَأَلَتْهُمَا
أُمُّهُمَا : مَاذَا جَاءَ بِكُمَا ، وَلِمَاذَا تَرَكْتُمَا صَدِيقَاتِكُمَا ؟
هَلْ تَعِيْتُمَا مِنَ اللَّيْبِ ، أَوْ تَشْعُرَانِ بِالْجُوعِ فَتُرِيدَانِ
الْعَدَاءَ ؟

رَدَّتْ زِينَةَ فِي كِبَرٍ وَاسْتِعْلَاءٍ : لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ ،
وَلَكِنْ سَيِّدَةٌ انْضَمَّتْ إِلَيْنَا فِي اللَّعِبِ ، فَخَشِينَا عَلَى
مَلَابِسِنَا أَنْ تَتَسَيَّخَ .

اسْتَأْذَنَتْ أُمُّهُمَا وَقَالَتْ : وَمَا الْعِيبُ فِي سَيِّدَةٍ ، وَمَا
عَلَّاقَتُهَا بِمَلَابِسِكُمَا ؟ فَسَيِّدَةٌ طِفْلَةٌ عَزِيزَةٌ النَّفْسِ ،
تَحْرِصُ عَلَى نِظَافَةِ مَلَابِسِهَا دَائِمًا .

قَالَتْ فَرَحٌ : وَلَكِنَّهَا فَقِيرَةٌ ، يَظْهَرُ الْبُؤْسُ عَلَيْهَا .
غَضِبَتْ أُمُّهَا وَقَالَتْ : الْفَقْرُ لَيْسَ عَيْبًا يَا ابْنَتِي ،
وَلَيْسَ مَعْنَى أَنَّكَ أَكْثَرُ مِنْهَا مَالًا ، أَنَّكَ أَفْضَلُ مِنْهَا ؟
قَالَتْ فَرَحٌ غَاضِبَةً : كَيْفَ تَقُولِينَ يَا أُمِّي أَنَّهَا أَفْضَلُ
مِنْنِي ؟

قَالَتْ أُمُّهَا : أَلَمْ تَسْمَعِي حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، الَّذِي يَقُولُ فِيهِ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ

ولا إلى أجسادكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم) .

كما قال كذلك : (يجمعُ الله عزَّ وجلَّ النَّاسَ
لِلْحِسَابِ ، فَيَجِيءُ الْفُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ ، يَرْقُونَ كَمَا يَرْفُ
الْحَمَامُ ، فَيَقَالُ لَهُمْ : فِفُوا لِلْحِسَابِ . فيقولون : ما
كانَ لنا شيءٌ نَحَاسِبُ عَلَيْهِ ، فيقولُ اللهُ : صدَقَ
عِبَادِي . فيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ) .

لا تَخْلِي زِينَةً عَنْ تَكْبِيرِهَا وَتَقُولُ مُسْتَكْبِرَةً : سَيِّدَةُ
هَذِهِ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَبْلِي ؟ يَا لَلْمَهْزَلَةِ !

اشْتَدَّ غَضَبُ أُمِّهَا وَقَالَتْ : كَفَى يَا زِينَةُ ، فَحَدِيثُكَ
يَبْعَثُ عَلَى الْأَشْمِيزَازِ . أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ أَحَدَ صَحَابَةِ
الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ
كَانَتْ تَأْتِيهِ الْأَمْوَالُ ، فَيَتَخَلَّصُ مِنْهَا بِأَسْرَعِ مَا يُمَكِّنُ ،
لِيَحْشَرَ مَعَ الْفُقَرَاءِ ؟

قَالَتْ فَرَحَ : كَيْفَ يَا أُمِّي ؟ اخْكِي لَنَا حِكَايَتَهُ .

قالت أمُّها : كَانَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ — قَبْلَ إِسْلَامِهِ —
يَقِفُ مَعَ الْأَلَاافِ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا لِيُشَاهِدُوا مَظَاهِيرَ إِعْدَامِ
الْأَسِيرِ خَبِيبِ بْنِ عَدِيٍّ ، الَّذِي قَاسَى مِنْ آلامِ التَّعْذِيبِ
مَا لَا يَحْتَمِلُهُ بَشَرٌ . فَقَابَلَ ذَلِكَ بِصُمودٍ وَثَبَاتٍ يَذْلَانِ
عَلَى إِيْمَانٍ رَاسِخٍ ، وَعَقِيدَةٍ لَا تَتَرَعَّزُ . وَرَأَى سَعِيدُ بْنُ
عَامِرٍ خَبِيبًا وَهُوَ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ لِلَّهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ، وَيَقُولُ
صَامِدًا : « وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ آمِنًا فِي أَهْلِ
وَوَلَدِي ، وَأَنْ مُحَمَّدًا يُوَخِّرُ بِشْرَكَةٍ » .

وَيُؤَثِّرُ الْمَشْهَدُ فِي الْفَتَى الْيَافِعِ ، لِيُطَارِدَهُ فِي النَّوْمِ
وَالْيَقَظَةِ ، وَيُفَكِّرُ فِيهِ كَثِيرًا ، حَتَّى يَصِلَ أَخِيرًا إِلَى بَرِّ
الْأَمَانِ ، وَيُعْلِنَ إِسْلَامَهُ .

وَهَاجَرَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَشَارَكَ فِي غَزْوَةِ
خَيْبَرَ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ غَزَوَاتٍ .

وفى عهد الخليفة عُمرَ بن الخطَّاب ، أرسله واليًا
على الشام ، وكانت الشام غنيَّة بالثروات والخيرات ،
فيها الأنهارُ الجارية ، والمزارعُ الشاسعة ، والخُصرة
الوارفة ، والتجارةُ الرابجة .

قالت زينةُ فى استنكار : واليا على كلِّ تلك النعم
وفقر؟ أنا لا أكاذُ أُصدِّق .

قالت أمُّها : نعم يا زينةُ فقير . اسمعى لتعرفى كيف
كانت حياته ، وماذا كان يملك .

حاولَ سعيذُ بن عامر أن يتملَّصَ ويرفضَ الولاية ،
وقالَ إنها فتنةٌ تُلهيه عن العبادَةِ ، ولكنَّ الخليفةَ عُمرَ
رفضَ عُذرَه ، وقال : كيف تُريدوننى أميرًا عليكم ، من
غير أن تُعاونونى على الإمارة ؟

وقبلَ سعيذَ مُضطَرًا ، واضطحبَ معه عروسَه
وكانت تَمْتَعُ بِجَمالِ فتان . واغطاءه الخليفةُ بعضَ

الأموال لِيَشْتَرِيَ مِنْهَا مَا يَلْزَمُهُمَا مِنْ أَثَاثٍ وَمَلَابِسٍ .
 وَفِي الشَّامِ تَقَرَّبَ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ أَنْ يَشْتَرِيَ مَا يَلْزَمُهُمَا
 مِنْ أَثَاثٍ وَيَدَّخِرَ الْبَاقِي . فَيَعْرِضُ سَعِيدٌ عَلَيْهَا أَنْ
 يَشْتَرِيَ لَوَازِمَهُمَا الضَّرُورِيَّةَ فَقَطْ ، وَيَسْتَشِيرَ الْبَاقِي فِي
 التَّجَارَةِ .

قَالَتْ زَيْنَةُ : آه ! هَذَا تَأْتِرُ بِالنَّعَمِ الَّتِي تُحِيطُ
 بِهِ ، وَفَكَّرَ فِي جَنَى الْمَكَاسِبِ !
 ابْتَسَمَتْ أُمُّهَا وَقَالَتْ : فَلَسِرْ ! اخَذَ سَعِيدٌ الْمَبْلَغَ
 الْمَبْقَى لِيَسْتَشِيرَهُ فِي التَّجَارَةِ .

وَكَلَّمَا سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ عَنِ الْأَمْوَالِ وَالْمَكَاسِبِ ،
 طَمَأَنَّاها قَائِلًا لَهَا : إِنَّهَا فِي الزُّبْدِ . إِلَى أَنْ كَانَ
 عِنْدَهُمَا فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ زَائِرٌ قَرِيبٌ لَهُمَا ، يَعْرِفُ
 حِكَايَةَ الْأَمْوَالِ . وَسَأَلَتْهُ الزَّوْجَةُ عَنْ حَالِ التَّجَارَةِ ،
 فَضَحِكَ الضَّيْفُ مِمَّا أَثَارَ الشُّكَّ فِي نَفْسِ الزَّوْجَةِ ،
 وَاصْرَتْ أَنْ تَعْرِفَ الْحَقِيقَةَ . فَأَخْبَرَهَا الضَّيْفُ أَنَّ
 سَعِيدًا قَدْ تَصَدَّقَ بِكُلِّ الْمَالِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ .

فَغَضِبَتْ الزَّوْجَةَ ، وَبَكَتْ عَلَى حَالِهَا ، فَلَا هِيَ
اشْتَرَتْ بِالْمَالِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَلَا هِيَ ادَّخَرَتْهُ لِنَفْعِهَا .

وَقَالَ لَهَا سَعِيدٌ : اَعْلَمِي يَا زَوْجَتِي الْغَرِيزَةَ ، أَنَّ فِي
الْجَنَّةِ مِنَ الْخَوَرِ الْعَيْنِ وَالْخَيْرَاتِ الْحِسَانِ ، مَا لَوْ أَطَّلَتْ
وَاحِدَةً مِنْهُنَّ عَلَى الْأَرْضِ ، لَأَضَاءَتْهَا جَمِيعًا ، فَلَسَ
أَضْحَى بِهِنَّ مِنْ أَجْلِكَ .

فَسَكَتَ زَوْجُهُ ، وَعَرَفَتْ أَنَّ لَا مَقَرَّ لَهَا مِنَ السَّيْرِ
مَعَهُ فِي طَرِيقِ الزُّهْدِ وَالْتَقَشُّفِ .

قَالَتْ فَرَحٌ : وَلِمَاذَا قَالَ لَهَا إِنَّهُ يُتَاجَرُ بِالْمَالِ ؟

قَالَتْ أُمُّهَا : إِنَّهُ تَاجَرَ بِالْمَالِ فِعْلًا ، وَلَكِنْ مَعَ اللَّهِ
تَعَالَى .

اذْكُرِي الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ فِيهَا : ﴿ مَثَلُ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَ

سَبْعَ سَنَابِلَ لِي كُلِّ مُبَلَّةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ
لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

* * *

وطلبَ الخليفةُ عُمرُ بنُ الخطابِ من بعضِ رجاله ،
أن يكتبوا له أسماءَ الفقراءِ بالشَّامِ ، ليُعطيَهم من بيتِ
المالِ . وعِنْدَمَا قرأَ الخليفةُ اسمَ سَعِيدِ بنِ عامِرٍ ضَمِنَ
أَسْمَاءَ الفقراءِ ، سَأَلَ :

— ومن سَعِيدُ بنُ عامِرٍ هَذَا ؟

قالوا : أَمِيرُنَا .

فاسْتَعْرَبَ الخليفةُ وقال : أَمِيرُكُمْ فَقِيرٌ ؟

قالوا : نَعَمْ ، وَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَتَمُرُّ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ الطُّوَالُ ،
وَلَا يَوْقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارَ .

فَبَكَى الخليفةُ عُمَرُ عَلَى حَالِ سَعِيدٍ ، وَطَلَبَ أَنْ

يُرْسَلُ إِلَيْهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَائِ حَاجَاتِهِ ،
وَإِصْلَاحِ حَالِهِ .

فَعِنْدَمَا رَأَى سَعِيدُ الْأَمْوَالِ عِنْدَهُ ، وَلَوَّ وَ قَالَ :
« إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » .

فَسَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ : مَاذَا أَصَابَكَ ، أَحَدَّثَ مَا يَضُرُّ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ؟ أَحَدَّثَ مَكْرُوهًا لِلْمُسْلِمِينَ ؟

فَبَادَرَهَا بِقَوْلِهِ : دَخَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا لُفْسِيْدَةً عَلَيَّ
آخِرَتِي ، وَحَلَّتِ الْفِتْنَةُ الْآلَانَ فِي بَيْتِي .

قَالَتْ زَيْنَةُ : وَمَاذَا كَانَ يَقْصِدُ ؟

قَالَتْ أُمُّهَا : لَقَدْ خَافَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ، أَنْ تَشْغَلَهُ
مَفَاتِنُ الدُّنْيَا وَتَعِمُّهَا ، عَنْ الْآخِرَةِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، فَكَأَنَّمَا حَلَّتْ بِهِ مُصِيبَةٌ .

قَالَتْ زَيْنَةُ : مُصِيبَةٌ ! أَأَصْبَحَ الْمَالُ مُصِيبَةً ؟

قالت أمها : وسرعان ما أخذ سعيد الدنانير ، وفرقها
على فقراء المسلمين .

قالت فرح : ولم يترك لنفسه بعضها ؟

قالت أمها : ولا درهمًا واحدًا .

* * *

وحدث أن زار الخليفة عمر بن الخطاب الشام ،
وسأل الناس عن أحوالهم وأحوال أميرهم معهم .
فاجتمعوا كلهم على خبهم لسعيد بن عامر ، إلا أن
بعض المتذمّرين شكوا منه في أربع خصال ، هي أنه :
لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار .

ولا يجيب أحدًا في الليل .

وله في الشهر يومان لا يخرج فيهما إلينا فلا نراه .

والأخيرة أنه تأخذه إغماءة بين الحين والحين .

وطلبَ منه غَمَرُ بنُ الحَطَّابِ أن يردَّ على هذه
الأتِّهَاماتِ ، فردَّ عليها بقوله :

أَمَّا أَنَّهُ يَتَأَخَّرُ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ صَبَاحًا ، فَلأنَّهُ
لا خَادِمَ لَهُ فَكَانَ يِعَاوُنُ أَهْلَ بَيْتِهِ فِي الْعَجِينَ وَالْحَبِيزِ ،
ثُمَّ يَصَلِّي الضُّحَا ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ .
أَمَّا أَنَّهُ لَا يُجِيبُ أَحَدًا فِي اللَّيْلِ ، فَذلكَ لأنَّهُ خَصَّ
اللَّيْلَ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّضَرُّعِ لِلَّهِ .

أَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ يَوْمَيْنِ كُلِّ شَهْرٍ ، فَقَدْ
رَدَّ عَلَى اسْتِحْيَاءِ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ إِلَّا ثَوْبًا وَاحِدًا ، فَيَغْسِلُهُ
وَيَنْتَظِرُ حَتَّى يَجِفَّ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ .

أَمَّا الإِعْمَاءُ ، فَيَسَبِّبُ رُؤْيَاهُ مَشْهَدَ إِعْدَامِ حَبِيبِ بْنِ
عَدِيٍّ ، وَمَا لَقِيَهُ مِنْ تَعَذُّبٍ ، فَيَخَافُ أَنْ يَنَالَهُ عَذَابُ
اللَّهِ ، لأنَّهُ كَانَ يَوْمُهَا مِنَ الْكُفَّارِ .

قَالَتْ زَيْنَةُ : أَلِهَذِهِ الدَّرَجَةُ كَانَ فَقِيرًا ؟

قَالَتْ أُمُّهَا : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يَا زَيْنَةُ ، أَنَّهُ كَانَ دَائِمًا
حَرِيصًا أَنْ يُحْشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْفُقَرَاءِ ؟

* * *

وَنَعُودُ لِلْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَنَرَى فَرْحَتَهُ
وَسَعَادَتَهُ لَتَوْفِيقِهِ فِي اخْتِيَارِ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ ، وَإِلَيْهَا عَلَى
الشَّامِ ، فَقَالَ :

- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُخَيِّبْ فِرَاسَتِي .

وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى ، لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى
قَضَاءِ حَاجَاتِهِ . فَفَرِحَتْ زَوْجُ سَعِيدٍ ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ شِرَاءَ
بَعْضِ الْمَوْنِ ، وَاسْتِئْجَارَ خَادِمٍ لَتُعَاوَنَهُمْ .

وَلَكِنْ سَعِيدًا يَقُولُ لَهَا : نَدْفَعُ الْأَلْفَ دِينَارٍ إِلَيْكَ مِنْ
يَاتِنَا بِهَا ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ إِلَيْهَا .

فَتَسْأَلُ : وَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ : نُقْرِضُهَا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا .

وكانَ مَصِيرُ الألفِ دينارٍ كَمَصِيرِ ما قَبَلَهَا ، ووُزِّعَتْ
على اليَتَامَى والأراملِ والمُحْتَاجِينَ .
قالت فرح : إنها قِصَّةُ رَجُلٍ يَكْرَهُ المالَ وَيُحِبُّ
الفَقْرَ .

قالت أمُّها : كانَ يَقولُ دائماً : كانَ لِي أَصْحَابٌ
سَبَقُونِي إلى اللَّهِ ، وما أَحَبُّ أنْ أُنْحَرِفَ عَنْ طَرِيقِهِمْ ،
ولو كانتُ لِي الدُّنيا وما فيها .

* * *

وفي السَّنَةِ العِشْرِينَ من الهِجْرَةِ ، لَقِيَ سَعِيدٌ رَبَّهُ ،
وهو لا يَمْلِكُ إِلَّا قَلْبًا يَنْبِضُ بالإيمانِ ، وشوقًا لِلِقَاءِ
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولِقَاءِ من سَبَقوه من
الصَّحَابَةِ في جَنَّةِ الخُلْدِ يا ذنِ اللَّهِ .

قالت فرح : يا لَلزُّهْدِ والوَرَعِ والبَساطَةِ !

قَالَتْ أُمُّهَا : وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُمَا قِصَّةَ سَعِيدِ بْنِ
 عَامِرٍ ، أَرْجُو أَنْ تَتَغَيَّرَ نَظَرُكُمَا إِلَى سَيِّدَةٍ ، فَالْفَقْرُ كَمَا
 رَأَيْتُمَا لَا يَعْيبُ صَاحِبَهُ ، وَالْأَرْزَاقُ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى ،
 يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَمْنَعُ عَمَّنْ يَشَاءُ ، وَاسْتِمْرَارُ
 الْحَالِ مِنَ الْمَحَالِ ، فَمَنْ يَدْرِي بِمَا تَأْتِي بِهِ الْأَيَّامُ ؟
 قَالَتْ زَيْنَةُ : آسِيفَةٌ يَا أُمِّي ، وَأَعْتَقِدُ أَنِّي كُنْتُ مُخْطِئَةً
 فِي حُكْمِي عَلَى سَيِّدَةٍ ، فَهِيَ كَمَا قُلْتُ عَنْهَا بِنْتُ نَظِيفَةٍ
 مُهَذَّبَةٍ .

قَالَتْ فَرَحٌ : هَيَّا بِنَا يَا زَيْنَةُ ، لِنَلْعَبَ مَعَ صَدِيقَاتِنَا فِي
 الْحَدِيقَةِ ، حَتَّى يَعُودَ أَبُونَا مِنْ عَمَلِهِ .